

سورة المرسلات

هي مكية إلا آية : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ » فمدنية .
 وعدد آياتها خمسون ، نزلت بعد سورة الهمزة .
 ومناسبتها لما قبلها — أنه هنا أقسم على تحقيق ما تضمنته السورة قبلها من وعيد
 الفجار ، ووعد المؤمنين الأبرار .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ
 تَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (٤) فَالْمَلَقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦)
 إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩)
 وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢)
 لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمِ الْفَصْلِ (١٤) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ
 لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥)

شرح المفردات

المرسلات : هم الملائكة الذين أرسلهم الله لإيصال النعمة إلى قوم ، والنقمة إلى
 آخرين ، عُرْفًا : أي للمعروف والإحسان ، والعاصفات : أي المبعثات للباطل كما
 تبعد العواصف التراب والتبين والهباء ، والناشرات : أي الناشرات لأجنحتهن عند
 نزولهن إلى الأرض ، فالفارقات فرقا : أي فالفارقات بين الحق والباطل ، فالملقيات
 ذكراً : أي فالملقيات العلم والحكمة إلى الأنبياء ، عذراً أو نذراً : أي للإعذار والإنذار ،

من قولهم : عذره إذا أزال الإساءة ، وأنذر إذا خوَّف ، طمست : أى محقت وذهب نورها ، فرجت : أى فتحت وشقت ، نسفت : أى اقتلعت من أما كتبها بسرعة من قولهم : انتسفت الشيء إذا اختطفتَه ، أقتت : أى عين لها الوقت الذى تحضر فيه للشهادة على أممها ، أجلت : أى أخرت وأمهلت ، الفصل : أى الفصل بين الخلائق بأعمالهم : إما إلى الجنة ، وإما إلى النار ، ويل : أى عذاب وخزى .

المعنى الجملى

أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة ، منهم المرسلون إلى الأنبياء بالإحسان والمعروف ليبلغوه للناس ، ومنهم الذين يعصفون ماسوى الحق ويبعدونه كما تبعد العواصف التراب وغيره ، ومنهم الذين ينشرون آثار رحمة في النفوس الحية ، ومنهم الذين يفرقون بين الحق والباطل ، ومنهم الملقون العلم والحكمة للإعذار والإنذار من الله — إن يوم القيامة لاريب فيه ، وحين تمحق أنوار النجوم ، وتشقق السماء ، وتنسف الجبال ، ويعين للرسل الوقت الذى يشهدون فيه على أممهم ، ويفصل بين الخلائق إبان العرض والحساب يكون الخزى والعذاب للكافرين المكذبين .

الإيضاح

(والمرسلات عرفا) أى أقسم بملائكتى الذين أرسلتهم بالإحسان والمعروف ، ليبلغوه أنبيأى ورسلى .

(فالعاصفات عصفا) أى فالملائكة المبعدين للباطل بسرعة كما تعصف الريح التراب والهباء .

(والناشرات نشرا) أى والملائكة الذين ينشرون آثارهم في الأمم والنفوس الحية .

(فالفارقات فرقا) أى فالملائكة النازلين بأمر الله للفرق بين الحق والباطل ،
والهدى والغى .

(فالملقىات ذكراً . عذراً أو نذراً) أى فالملائكة الملقىات إلى الرسل وخياً فيه
إعذار إلى الخلق ، وإنداز لهم بعقاب الله إن هم خالفوا أمره .

(إن ماتوعدن لواقع) أى أقسم بهذه الأقسام إن مارُعدتم به من قيام الساعة
لكائن لا محالة .

(فإذا النجوم طمست) أى فإذا ذهب ضوء النجوم ، ونحو الآية قوله : « وَإِذَا
النُّجُومُ انْكَدَرَتْ » .

(وإذا السماء فُرِجَتْ) أى وإذا السماء انفطرت وتشققت ، وهذا كقوله :
« وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا » وقوله : « إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ » وقوله : « وَيَوْمَ
تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ » .

(وإذا الجبال نسفت) أى وإذا الجبال فرقتها الرياح ، فلم يبق لها عين ولا أثر ،
وهذا كقوله : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا » .

(وإذا الرسل أُوْتت) أى وإذا جعل للرسل وقت للفصل والقضاء بينهم وبين
الأمم ، وهذا كقوله : « يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ » .

(لأى يوم أُجِّلت؟) أى ويقال حينئذ : لأى يوم أخرت الأمور المتعلقة بالرسل
من تذيب الكفار وإهانتهم ، وتنعم المؤمنين ورعايتهم ، وظهور ما كانت الرسل
تذكره من أمور الآخرة وأحوالها ، وفضاعة أحوالها .

والمراد بهذا تهويل أمر هذا اليوم وتعظيم شأنه ؛ كأنه قيل : أى يوم هذا الذى
أُجِّل اجتماع الرسل إليه ؟ إنه ليوم عظيم .

ثم بين ذلك اليوم فقال :

(ليوم الفصل) أى ليوم يفصل الله فيه بين الخلائق ، وهو اليوم الذى أجل اجتماع الرسل له .

(وما أدراك ما يوم الفصل ؟) أى وما أعلمك بيوم الفصل وشدته وعظيم أهواله؟

ثم صرح بالمراد وأبان من سيقع عليهم النكال والوبال حينئذ فقال :

(ويل يومئذ للكافرين) أى عذاب وخزى لمن كذب بالله ورسله وكتبه

وبكل ماورد على السنة أنبيائه وأخبروا به .

أَلَمْ يَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالْبَاطِلِ مِثْرًا (١٨) وَيَلِيَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ
مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢)
فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيَلِيَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ
الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَاخِحَاتٍ
وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيَلِيَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ (٢٨)

شرح المفردات

من ماء مهين : أى من نطفة ذرة حقيرة ، فى قرار مكين : أى فى الرحم ،
إلى قدر معلوم : أى إلى مقدار معين من الوقت عند الله ، فقدرنا : أى على خلقه
وتصوره كيف شئنا ، والكفات : ما يكفت ، أى يضم ويجمع ، من كفت الشئ :
إذا ضمه وجمعه ، وأنشد سيبويه :

كرام حين تكفت الأفاعى إلى أحجارهن من الصقيع

رواسى : أى جبالا ثوابت ، شاخحات : أى مرتفعات ، فراتا : أى عذبا .

المعنى الجملى

بعد أن حذر الكافرين وخوفهم بأن يوم الفصل كائن لا محالة ، وأقسم لهم بملائكته المقربين ورسوله الطاهرين بأنه يوم سيكون ، وأن فيه من الأهوال ما لا يدرك كنهه إلا علام الغيوب — أردف ذلك بتخويفهم بأنه أهلك الكفار قبلهم بكفرهم فإذا سلكتم سبيلهم فستكون عاقبتكم كعاقبتهم ، وستمذبون في الدنيا والآخرة ، ثم أعقبه بتخويفهم بنكران إحسانه إليهم ، فإنه قد خلقهم من ماء مهين في قرار مكين إلى زمن معلوم ، ثم أنشأهم خلقا آخر ، وجعل لهم السمع والأبصار والأعضاء ، ليشكروا نعم الله عليهم ، فكفروا بها وأنكروا وحدانيته وعبدوا الأصنام والأوثان ، ثم ذكرهم بنعمه في الآفاق ؛ إذ خلق لهم الأرض وجعلها تضمهم أحياء وأمواتا ، وجعل فيها الجبال لثلاثيمد بهم وجعل فيها الأنهار والعيون ، ليشربوا منها ماء عذبا زلالا ، فويل لمن كفر بهذه النعم العظام .

الإيضاح

(ألم نهلك الأولين؟) أى ألم نهلك من كذب الرسل قبلكم ، ونمذّبهم في الدنيا بشتى أنواع العذاب ، فتارة بالغرق كما حدث لقوم نوح ، وأخرى بالزلازل كما كان لقوم لوط إلى أشباه ذلك من المثالات التي حلت بالأمم قبلكم ، جزاء لهم على قبيح أعمالهم وسيء أفعالهم ، وإن سنننا في المكذبين لا يتبدل فيها ولا تغيير ، فاحذروا أن يجعل بكم مثل ما حل بهم ، وتقدموا ، ولات ساعة مندم .

(ثم ننبههم الآخرين) أى ثم نحن نفعل بأمثالهم من الآخرين ، ونسلك بهم سبيلهم لأنهم فعلوا مثل أفعالهم .

وفي هذا من شديد الوعيد لأهل مكة ما لا يخفى .

ثم ذكر الحكمة في إلحاقهم بهم فقال :

(كذلك نعمل بالمجرمين) أى إن سنتنا في جميع المجرمين واحدة ، فكما أهلكنا المتقدمين لإجرامهم وتكذيبهم — نعمل بالمتأخرين الذين حذوا حذوهم ، واستنوا سنتهم ، فسنتنا تجري على وتيرة واحدة .

(ويل يومئذ للمكذبين) أى هؤلاء وإن عذبوا في الدنيا بأنواع من العذاب ، فالطامة الكبرى معدة لهم يوم القيامة ، والتكرير للتوكيد شائع في كلام العرب كما تقدم في سورة الرحمن .

وقال القرطبي : كرر الويل في هذه السورة عند كل آية لمن كذب بشيء ، لأنه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم ، فجعل لكل مكذب بشيء عذابا سوى عذابه بتكذيب شيء آخر اهـ .

ثم ذكروهم بجزيل نعمه عليهم في خلقهم وإيجادهم مما يستدعى جزيل شكرانهم فقال :

(ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه في قرار مكين . إلى قدر معلوم . فقدرنا نعمم القادرون ؟) أى ألا تعترفون بأنكم خلقتم من نقطة مذرة منقنة وضعت في الأرحام إلى حين الولادة ، ونحن قد قدرنا ذلك فنعلم المقدرين ، إذ خلقناكم في أحسن الصور والهيئات — أفلا يستحق ذلك الخالق منكم الشكران لا الكفران والاعتراف بوحديته وإرساله للرسول والإقرار بالبعث ؟ لكنكم كفرتم أنعمه ، ونكلمتم عن الاعتراف بوحديته ، وعبدتم الأصنام والأوثان ، وأنكرتم يوم الفصل والجزاء ، فسترون في هذا اليوم عاقبة ما اجترحتم .

(ويل يومئذ للمكذبين) أى خزي وعذاب لمن كذب بهذه المنن العوالى .

وبعد أن ذكروهم بالنعم التي أنعم بها عليهم في الأنفس — ذكروهم بما أنعم عليهم في الآفاق ، وأرشد إلى أمور ثلاثة :

(١) (ألم نجعل الأرض كفاتا . أحياء وأمواتا ؟) أى ألم نجعل الأرض مهاداً لكم ، فتكفتم وتجمعكم فيها أحياء على ظهرها ، وأمواتا فى بطنها ، فالأحياء يسكنون فى منازلهم ، والأموات يدفنون فى قبورهم .

خرج الشجى فى جنازة فنظر إلى الجبان فقال : هذه كفات الأموات ، ثم نظر إلى البيوت فقال : هذه كفات الأحياء .

وكانوا يسمون بقيق العرقد (مقبرة المدينة) كفتة لأنه مقبرة تضم الموتى .

(٢) (وجعلنا فيها روائى شاخت) أى وجعلنا جبلاً ثوابت عاليات على ظهرها ، لئلا تميد بكم .

وهذه الجبال متصلة بالطبقة الصوانية التى هى أبعد طبقات الأرض عن سطحها وتلك الطبقة تضم فى جوفها كرة النار المشتعلة التى فى باطنها ، وظهرها هذه القشرة التى نحن عليها .

(٣) (وأسقيناكم ماء فراتا) أى وأسقيناكم ماء عذبا فراتا تشربون منه ، إما آتياً من السحاب الذى حفظته الجبال بارتفاعها ، وإما من العيون النابتة منه ويمدها الثلج الذى يذوب شيئاً فشيئاً فوق ظهر الأرض متنزلاً إلى بطنها ، متجهاً إلى عيونها الجارية .

(ويل يومئذ للكذابين) أى عذاب عظيم فى الآخرة لمن كفر بهذه النعم .

انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون (٢٩) انطلقوا إلى ظل
ذى ثلاث شعب (٣٠) لا ظليل ولا يُعنى من اللهب (٣١) إنها ترعى
بشبر كالقصر (٣٢) كأنه جمالة صغر (٣٣) ويل يومئذ المكذبين (٣٤)
هذا يوم لا ينطقون (٣٥) ولا يؤذن لهم فيعتذرون (٣٦) ويل يومئذ

لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِنْ كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا (٣٩) وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٠).

شرح المفردات

لاظليل : أى لا يلقى من حر الشمس ، والشرر : ما يتطاير من النار ، كالقصر :
أى كالدار الكبيرة المشيدة ، جمالة : واحدها جمل ، فكيدون : أى فاحتالوا على ؛
يقال : كدت فلانا إذا احتلت عليه .

المعنى الجملى

بعد أن ذكر أن المكذبين بالله وأنبيائه واليوم الآخر العذاب فى يوم الفصل
والجزاء — بين هنا نوع ذلك العذاب بما يحار فيه أولو الألباب ، ويخر من هوله
كل نُحِبَتِ أَوَّابٍ ، فأخبر بأنهم يؤمرون بالانطلاق إلى ما كانوا يكذبون به
فى الدنيا ، إلى ظلِّ دخان جهنم المتشعب لكثرتة وتفرقة إلى ثلاث شعب عظيمة ،
وهو لا يظلمهم ولا يمنع عنهم حر اللهب المتكوّن من نار ترمى بشرر ، كأنه القصر
المشيد علواً وارتفاعاً ، وكأنه الجمال الصقر انبساطاً وتفرقا عن غير أعداد محصورة ،
وحركة غير معينة .

ولا شك أن هذا تشبيه على ما تعهده العرب إذا وصفت الأشياء بالعظم ، ألا
تراهم يشبهون الناقة العظيمة بالقصر كما قال :

فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدان لأقضى حاجة المتلوم

ثم أخبر بأن الويل للمكذبين بهذا اليوم ، يوم لا ينطقون من شدة الدهشة
والحيرة ، ولا يؤذن لهم فى الاعتذار فيعتذرون ، يوم يجمع الله الأولين والآخرين

في صعيد واحد ، ويقال لهم على سبيل التأنيب والتقريع : إن كنتم تستطيعون أن تدفعوا عن أنفسكم شيئا من العذاب فهلتوا .

الإيضاح

(انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون) أى يقول لهم خزنة جهنم حينئذ : اذهبوا إلى ما كنتم تكذبون به من العذاب في الدنيا . ثم بين هذا العذاب ووصفه بجملة صفات :

(١) (انطلقوا إلى ظلّ ذى ثلاث شعب) أى انطلقوا إلى ظل دخان جهنم المشعب إلى ثلاث شعب : شعبة عن يمينهم ، وشعبة عن شمالهم ، وشعبة من فوقهم ؛ والمراد أنه محيط بهم من كل جانب كما جاء في الآية الأخرى : « أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا » .

(٢) (لاظليل) أى ليس بمظلّ فلا يبق من حر ذلك اليوم . وفي هذا تهكم بهم ، ونفي لأن يكون فيه راحة لهم ، وإيدان بأن ظلمهم غير ظل المؤمنين .

(٣) (ولا يغنى من اللهب) أى ولا يدفع من حر النار شيئا ، لأنه في جهنم فلا يظلمهم من حرها ، ولا يستترهم من لهيبها كما قال في سورة الواقعة : « فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ، لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ » . ثم وصف النار التي تحدث هذا الظل من الدخان فقال :

(إنها ترمى بشرر كالفصر . كأنه جمالة صفر) أى إن هذه النار يتطاير منها شرر متفرق في جهات كثيرة كأنه القصر عظاما وارتفاعا ، وكأنه الجمال الصفر لونا وكثرة وتتابعها وسرعة حركة .

(ويل يومئذ المكذبين) بهذا اليوم الذي لا يجدون فيه لدفع العذاب عنهم محيصا .

ثم وصف اليوم الذى فيه العذاب فقال :

(هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيمتدرون) أى هذا يوم لا يتكلمون من الخيرة والدهشة ، ولا يؤذن لهم فى الاعتذار ، لأنه ليس لديهم عذر صحيح ، ولا جواب مستقيم .

وقد يكون المراد — إنهم لا ينطقون بما يفيد فكأنهم لا ينطقون ، وتقول العرب لمن ذكر ما لا يفيد : ما قلت شيئاً .

(ويل يومئذ للمكذبين) بما دعيتهم إليه الرسل ، فأندرتهم عاقبته .

(هذا يوم الفصل) أى هذا يوم يفصل فيه بين الخلائق ، ويميز فيه الحق من

الباطل ، فيؤتى كل عامل جزاء عمله من ثواب وعقاب ، ويفصل بين العباد بعضهم مع بعض ، فيقتص من الظالم المظلوم ، وترد له حقوقه .

ثم بين كيف يكون الفصل فقال :

(جمعناكم والأولين) أى جمعنا بينكم وبين من تقدمكم من الأمم فى صعيد

واحد ليتمكن الفصل بينكم ، فيقضى بهذا على هذا ، ولولا ذلك ما أمكن إذ لا يقضى على غائب .

(فإن كان لكم كيد فكيدهم) أى فإن كان لكم حيلة فى دفع العذاب

عنكم فاحتالوا ، لتخلصوا أنفسكم من العذاب .

وفى هذا تبرع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا ، وإظهار لعجزهم

وقصورهم حينئذ .

(ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث لأنه قد ظهر لهم عجزهم وبطلان ما كانوا

عليه فى الدنيا .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوْا كِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢)

كُلُّوْا وَاشْرَبُوْا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيَلُوكُ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كَلُّوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا
 إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (٤٦) وَيَلُوكُ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
 أَرَأَيْتُمْ لَآيَةَ كَعُونَ (٤٨) وَيَلُوكُ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ
 بَعَدَهُ يُؤْمِنُونَ ؟ (٥٠)

شرح المفردات

ظلال : واحدها ظل ، وهو أعم من الظل ؛ فإنه يقال ظل الليل وظل الجنة ،
 ولنسكل موضع لم تصل إليه الشمس ظل ، ولا يقال في إلا لما زالت عنه الشمس ،
 ويمبر بالظل أيضا عن الرفاهية ، وعن العزة ، وعيون : أى أنهار ، أركعوا : أى صلوا ،
 حديث : أى كلام .

المعنى الجملى

بعد أن بين سبحانه ما يحل بالكفار من الخزي والنكال يوم القيامة — أعقبه
 بذكر ما يكون للمؤمنين من السعادة والكرامة حينئذ ، فهم يكونون في ترف ونعيم
 ويأكلون فواكه ما يشتهون ، ويقال لهم : كلوا واشربوا هنيئًا بما قدمت في الأيام
 الخالية ، وهذا جزاء كل محسن لعمله .

ثم خاطب المكذبين مهددا لهم فقال : « كَلُّوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا » ولا نصيب
 لكم في الآخرة ، لأنكم كافرون .

ثم ذكر أن الكفار إذا أمروا بظاعة الله والخشوع له أبوا وأصروا على ما هم
 عليه من الاستكبار فويل لهم مما يعملون ، وإذا لم يؤمنوا بالقرآن والنبي الذى جاء به
 مع تظاهر الأدلة على صدقه ، فبأى كلام بعده يصدقون ؟

الإيضاح

(إن المتقين فى ظلال وعيون) أى إن المتقين فى ظلال ظليلة ، وكن كنين ، وعيون وأنهار، أى فى ظلال الأشجار وظلال القصور، فلا يصيبهم أذى حرّ ولا قرّ، بخلاف الكافرين فإنهم فى ظل ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يعنى من الالهة كما تقدم .

ونحو الآية قوله فى سورة يس : « هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرْضِ مَثْبُوتُونَ »

(وفوا له مما يشتهون) أى ولديهم فواكه يأكلون منها كلما اشتته نفوسهم لا يخافون ضرها ولا عاقبة مكروها .

(كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) أى ويقال لهم : كلوا أيها الأبرار من هذه الفواكه ، واشربوا من هذه العيون كلما شتتم أكل هنيئاً خالص اللذة ، لا يشوبه سقم ولا يكدره تنغيص ، وهو دائم لكم لا يزول ولا يورثكم أذى فى أبدانكم جزاء بما عملتم فى الدنيا من طاعة الله ، واجتهدتم فيما يقربكم من رضوانه .

(إنا كذلك نجزي المحسنين) أى إنا كما جزينا هؤلاء المتقين بما وصفنا من الجزاء على طاعتهم إيانا فى الدنيا — نجزي أهل الإحسان لطاعتهم وعبادتهم لنا ، فلا نضيع لهم أجرا ، كما قال : « إِنَّا لَا نُضِيعُ أُجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا » .

(ويل يومئذ للمكذبين) أى ويل للذين يكذبون ما أخبر الله به من تكريم هؤلاء المتقين بما أكرمهم به يوم القيامة .

ثم خاطب المكذبين مهدداً لهم فقال :

(كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون) أى كلوا بقية آجالكم ، وتمتعوا بقية أعماركم

وهي قليلة المدى ، وسنستنّ بكم سنة من قبلكم من مجرمي الأمم الخالية التي مُتعت إلى حين ، ثم انتقمنا منهم ب كفرهم وتكذيبهم لرسلنا .

(ويل يومئذ للكافرين) الذين عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل ، وكذبوا بما أخبرهم الله أنه فاعل بهم .

(وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أى وإذا قيل لهؤلاء المكذبين اعبدوا الله وأطيعوه واخشوا يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، استكبروا وأصرروا على عنادهم .

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر ثقيفاً بالصلاة ، فقالوا لانحجوا (لا تركع) فإنها سببة علينا ، فقال عليه السلام « لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود » .

وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال : إنما يقال هذا في الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون ، من جراء أنهم لم يكونوا يسجدون في الدنيا .

(ويل يومئذ للكافرين) بأوامر الله ونواهيه .

وبعد أن بالغ في زجر الكفار بما تقدم ذكره ، وحث على الانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من هؤلاء المشركين الذين لم يسمعوا نصيحة الداعي ، ولم يتبعوا عظاته ، وما فيه رشدهم وصلاحهم في آخرتهم ودينهم فقال :

(فبأى حديث بعده يؤمنون ؟) أى إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل على تجليها ووضوحها ، فبأى كلام بعد هذا يصدقون ؟

فالقرآن الكريم جامع لأخبار الدارين ، مبين لأحوال النشأتين على نمط بدع تؤيده الحجج القاطعة ، وتدعمه البراهين الناطقة .

وقصارى ذلك — إن القرآن قد اشتمل على البيان الشافي والحق الواضح ، فما بهم لا يبادرون إلى الإيمان به قبل القوت وحلول الموت ، وعدم الانتفاع بعسى

ولعل وليت .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله أجمعين .

ما اشتملت عليه السورة الكريمة من المقاصد

حوت هذه السورة المقاصد الآتية :

(١) الإخبار بأن يوم الفصل آت لا شك فيه ، وقد أكد ذلك بالتقسيم بملائكته الكرام .

(٢) وعيد الكافرين بأنه سيستن بهم سنة الأولين من المكذبين .

(٣) توبيخ المكذبين على نكران نعم الله عليهم في الأنفس والآفاق .

(٤) وصف عذاب الكافرين بما تشيب من هوله الولدان .

(٥) وصف نعم المتقين وما يلبثونه من الكرامة في جنات النعيم ، ويتخلل

ذلك وصف خلق الإنسان والأرض والجبال ، وبيان عظمة الخالق

وكمال قدرته .

وصل ربنا على عبدك ورسولك محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم .

وكان الفراغ من مسودة هذا الجزء بمدينة حلوان من أرباض القاهرة قاعدة

الديار المصرية في الثاني من ذي القعدة من السنة الخامسة والستين بعد الثلاثمائة

والألف من الهجرة النبوية المباركة ، فله الحمد والمنة .